

المحور الثالث: الاتجاهات الكلاسيكية في علم الاجتماع

المحاضرة (4-5)

أولا- الوضعية عند أوجيست كونت:

أوجيست كونت (1798-1857)؛ مبدع السوسولوجيا ومؤسس الفلسفة الوضعية والداعية لديانة جديدة، المفتون بنشوء المجتمع الصناعي والعقلانية العلمية، وفي سبيل تصور هذا المجتمع الجديد البارز اراد ان يؤسس علم بما هو اجتماعي سيدعوه سوسولوجيا، ظهرت كلمة سوسولوجيا للمرة الاولى عام 1839، وذلك في سياق فقرة من دروس في الفلسفة الوضعية لأغيست كونت، حيث أطلق تسمية الفيزياء الاجتماعية على العلم المعني بالمجتمع، والتي تشير الى الرغبة ببناء علم حقيقي مهموم بإيجاد القوانين وبالاستناد الى معطيات مؤكده بصلابه وبراهين جازمة، هنا تكمل مبادئ الاولى للفلسفة الوضعية او النزعة الوضعية التي يعتبر كونت اول دعائها، وسيكون هدف الفيزياء الاجتماعية الكشف عن قوانين المجتمع ثم وضع هذه المعرفة في خدمه الدولة .

1- تعريف الوضعية:

تأسست الوضعية عند كونت كمرحلة لاحقة للفلسفة النقدية السالبة، وتعرف الوضعية بالإيجابية، لكونها تتخذ موقفا ايجابيا من الواقع الراهن، وذلك بعدم محاولة رفضه مثل ما يفعل التنويرين، والتحول من نفي الواقع الى الايمان به والرغبة في تنظيمه.

وهي كذلك وضعية لأنها ترضى بما هو قائم وتحاول تنظيمه على اساس من الادراك المنظم للعقل الباحث اي بواسطة العلم، فالوضعية تسعى الى وصف وتحليل الظواهر في إطار وجودها كأمر واقع دون محاولة تغيير هذا الواقع.

ويمكن تقريب معنى الوضعية الى الذهن أكثر لو نربط بين الوضعية وبين الوضع الذي توجد عليه الاشياء في حالتها الراهنة، كما هو الحال بالنسبة لآلة التصوير عندما نستعملها لالتقاط صورته شيء ما.

ويمكن القول ان الوضعية هي بمثابة اتجاه فكري يستند في تأسيس معطياته على التجربة، وذلك باستخدام المنهج العلمي في الوصول على هذه المعطيات متخذه من العلوم الطبيعية اطارا يحاول مد نتائجه لكي تصدق على العالم الإنساني.

2- الثبات والتغير في المجتمع:

رأى كونت ان علم الاجتماع يمكن ان يهتم اولا بحالة الثبات في المجتمع، ثانيا وباعتبار الوحدة الانسانية بالتحويلات والتطورات التاريخية على مستوى الإنسانية انطلق في بحثه للوضع الثابت في مرحله زمنيه من افتراض حاله التوافق، والتي تقوم على اساس تحقيق نمط فكري مشترك وعقليه موحد يمثّل المجتمع في حاله ضبط العامل الزمني وحده متكاملًا، كما هو الحال في الكائن العضوي يشمل بناءات ونظم متكاملة تؤدي الى حاله من النظام والتوافق، يدرس على علم الاجتماع الستاتيكي في هذه الحالة البنية الاجتماعية، كما هي في الواقع يفترض كونت ان التماثل الفكري والعقلي مع افتراض طبيعة انسانية واحده من الضرورات الأساسية للقيام بالمجتمع واستمراره تساعد الجماعات الوسطية وخاصة الأسرة والمؤسسات التعليمية والاعلامية على بناء قاعده ثقافيه عقليه موحد يتوافق فيها الفرد مع الجماعات والمجتمع، مما يؤدي الى حاله من التوافق والتماسك الاجتماعي. تلعب النظم الاجتماعية دورها في بناء حاله التوافق، فالنظام الديني يؤدي وظيفة تكاملية، وبهذا يعتبر عاملاً موحداً تشمل وظيفته توحيد الجانب العقلية والعقائدية والوجدانية، التي توازي النزاعات والخصائص في الطبيعة الانسانية وفي تناوله للأسرة كجماعة وكنظام اجتماعي، يركز على عمليات التنشئة، ويرى ان العلاقات الأسرية تحكمها ثقافه المجتمع وهذه تختلف من مجتمع لآخر.

و يعتقد كونت ان توزيع الادوار يقوم على اساس الكفاءة وهو في ذاته ضرورة بنائية وظيفية في تناوله للتطور الاجتماعي بما اسماه علم الاجتماع الديناميكي ينطلق كونت من افتراض وحده النوع الانساني طبيعة انسانية واحده وتاريخ واحد يتضمن في مساره التقدم عملية التطور هذه تتضمن جانبين متداخلين يمثل التطور العقلي وانماط الفكر الجانب الاول بينما تمثل النشاطات الفعلية الجانب الموازي، هذا اضافة الى تطور وجداني ويشهد هذا التطور الوجداني تحولا تدريجي للميول الإثارية، ولكن دون التخلي الكلي عن ميول الأنانية، اما التطور العقلي وهو الاله فقد جاء بما اسماه قانون المراحل الثلاث ويشمل تطورا من النيتشيه منتهيا بالوضعية، ومن الذاتية الى الوصول الى اكتشاف القوانين التي تحكم الظواهر، والمعيار والاساس هو نمط الفكر السائد في كل مرحلة بمعنى الاسس المعرفية، التي تستخدم في تفسير الظاهرة.

3- قانون الحالات الثلاث:

يقدم قانون الحالات الثلاث الذي يلخص برأي كونت تطور الفكر البشري، ففي تطورها تمر المعرفة عبر ثلاث عصور تتوافق مع المراحل التاريخية الثلاث، وكذلك مع اعمار العقل الفكر الثلاث:

- **العصر اللاهوتي او التخيلي:** وهو طفولة البشرية، وفيه يبحث الذهن عن سبب الظواهر، اما ان تنسب الى الاشياء او المواد مقاصد الفاشية، او بافتراض وجود كائنات خارقه للطبيعة تعدد الالهة او وجود اله واحد التوحيدية، يتمثل الذهن البشري الظواهر كمنتجات

للفعل المباشر والمستمر لعوامل خارقه لطبيعة عديده الى هذا الحد او ذاك هذا هو زمن المعتقدات السحرية الفنتشية الارواح الأديان، عالم يتجه الى ما هو ابعد من الواقع او الى الآخرة نحو عباده الاسلاف عالم حيث الموت يحكمون الاحياء.

- **العصر الميتافيزيقي** او المجرد: وهو عصر شباب الفكر وفيه تخلي التعامل مع العوامل الخارقة للطبيعة مكانها الى قوى مجردة، وهذه المرحلة هي تقدم مقارنة مع مرحلة التشبه بالبشر السابقة لكن الفكر بقي حبيس تصورات فلسفية مجردة وكونية ويرد الواقع الى مبادئ اوليه، هذا هو منهج الفيلسوف كما يكتب كونت.
- **العصر الوضعي**: الذي يصفه كونت على انه الحالة الرجولية لعقلنا، يرفض الذهن الوضعي البحث عن لماذا نهائية بخصوص الاشياء من اجل تفحص الوقائع وقوانينها الفعلية اي علاقاتها الثابتة في التعاقب والتشابه ان اللجوء الى الوقائع الى التجربة واختبار الواقع هو ما يسمح بالخروج من الخطابات التأملية هذا هو المبدأ الاول في الوضعية ففي حين ان الذهن الميتة في سياق يلجا الى تصورات ابدية وكونيه لا يخضعها للواقع فان الذهنية الوضعية تواجه الفرضيات مع العالم الواقعي، يؤدي هذا النهج الى التخلي عن النظريات العامة لصالح معارف دقيقه عملياته ومرتبطة بترتيب الحثيات المعطاة ونظامها.

يعلن كونت مزدريا النظريات المطلقة والكونية لأنها جوفاء وغير نافعه ان الكل نسبي ذلك هو الشيء الوحيد المطلق، باختصار تقوم الوضعية على التخلي عن التأملات التي لا طائل منها والتصورات الأتية من التخيل كي تقتصر على معارف مبنية بالتجربة وبملاحظه الواقع وبالمحاكمة العقلية الصارمة، هذا هو مبدا الوضعية المعتقد المضاد للميتافيزيقية، التي تصبح احد التيارات الفكرية الاكثر اهميه في القرن 19 بدا العقل الوضعي، كقدوم عصر جديد للفكر، سيسمح بمعرفة قوانين تنظيم المجتمع السكون الاجتماعي وقوانين تطوره الدينامي الاجتماعية، وحل المشكلات الاجتماعية باستخدام السوسولوجيا.

4- المنهج الوضعي في فهم المجتمع:

استنادا الى كون الوضعية قد ورثت قدرا كبيرا من التفكير العقلي الذي ساد مرحله التنوير، فانه كان منطقي ان تضع في اطارها الكثير من مقولاته، وعليه فان العلم كنظام عقلي او كمنطق يتبناه الباحث لأدراك واقعه الاجتماعي، قد صار من اهم القضايا التي شكلت بلوره اهتمام الوضعية، فهي منذ البداية تعلن انتهاء فاعليه الموقف النقدي، وتعتقد ان التقدم من حينه لا يتأكد بواسطه النزاعات النقدية والصراع الطبقي او الجهد الثوري، بل يتم عن طريق المصالحة بين الطبقات المتنازعة، من خلال ترشيد وتعليم كل فئات المجتمع، واذا كانت المعرفة الوضعية تؤمن باستحالة الوصول الى حقائق مطلقة وتؤكد على مبدا النسبية، فهي كذلك تولي عناية كبيره لاكتشاف القوانين، ومن ثم الوصول الى المعرفة الوضعية، وهذه الأخيرة لن تتحقق الا عن طريق المنهج الوضعي، الذي تحدده اربع اجراءات منهجية اساسيه للبحث وهي:

- **الملاحظة:** وتقتصر على استخدام الحواس الفيزيائية، ويمكن ان تكون ذات قيمه علمية اذ وجهت عن طريق نظرية وضعية في ذهن الملاحظ.

- **المنهج المقارن:** وتتم المقارنة افقيا وعموديا وهي تكتسي اهميه كبيره بالنسبة لدراسات اجتماعيه، حيث يمكن عقد مقارنات بين المجتمعات التي تعيش زمنا بعينه او بين الطبقات الاجتماعية داخل المجتمع الواحد.

- **المنهج التاريخي:** وهو اهم الاجراءات المنهجية جميعها حتى ان كانت يسميه بالمنهج السامي، وينحصر في تقصي القوانين العامة للتغير المستمر في الفكر الإنساني، وليس الاقتصار على مجرد سرد للأحداث فقط.

وفي الاخير يمكن القول ان الوضعية عند كونت، قد تأسست لهدف اساسي يتمثل في اصلاح المجتمع، الذي هزته الفلسفات النقدية والحركات الثورية، وخاصة الثورة الفرنسية وهي تزعم انه لا يمكن اعاده تنظيم المجتمع الا بتحقيق الاتساق العام بين اجزائه، وذلك باتباع منهجيه ملائمه افتداء بمنهج العلوم الطبيعية، التي قطعت شوطا كبيرا في التقدم والدقة المتناهيتين. ويمكن القول أن الوضعية قد كانت عبارة عن منهج لعلم الاجتماع اكثر من كونها فلسفه نظرية، وهي وان كانت قد مهدت للاتجاه الامبريقي الذي ساد البحث السوسولوجي فإنها لم تولي ظاهره الصراع اهتماما يمكن ان يشكل اتجاها في دراستها، ولكن الذي لا يمكن انكاره انها اثرت في بعض الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع وخاصة بعض الافكار الوظيفية وعموما فان التاريخ اللاحق لقيام الوضعية، يثبت انها لم توفق في فهم المجتمع واعاده تنظيمه كما تدعي.

ثانيا - ميل دوركايم (Emile Durkheim): مؤسس علم الاجتماع الحديث.

بدأ ايميل دوركايم (1858-1917) حياته بتدريس الفلسفة حتى عام 1887، قدم بعدها اول مساق في علم الاجتماع وفي جامعه باردو، وبهذا يعود له الفضل في تأسيس تخصص علم الاجتماع على المستوى الجامعي، وفي عام 1893 نشر رساله الدكتوراه تحت عنوان تقسيم العمل في المجتمع وهي دراسة لتطور المجتمعات والتضامن الاجتماعي، وفي عام 1895 ظهر كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع، يقدم فيه منهجية لدراسة الظواهر الاجتماعية. وفي عام 1897، نشر عمله الرئيسي الثالث، "الانتحار: دراسة في علم الاجتماع"، وهي دراسة حالة تستكشف اختلاف معدلات الانتحار بين البروتستانت والكاثوليك وتجادل بأن السيطرة الاجتماعية القوية بين الكاثوليك تؤدي إلى انخفاض معدلات الانتحار. وعين استاذ في التربية في جامعه باريس عام 1906، تحول لقبه بعدها الى استاذ علم الاجتماع التربوي، وفي عام 1912 نشر كتابه اشكال الأولية للحياة الدينية وهي دراسة للدين من منظور اجتماعي. كان محافظا في طروحاته وتبنى منهج الفلسفة الوضعية بعد ان اسس علم الاجتماع كميدان علمي خاص وكان لا فكاره اثارها الواضحة في علم الاجتماع، خاصة بعد ان ترجمة اعماله للإنجليزية ولغات أخرى.

1- قواعد المنهج السوسولوجي عند اميل دوركايم:

يمكن على الاقل ان نحفظ بخمس قواعد اساسيه من منهج دور كيم:

- التحديد الموضوعي لماده البحث:

يجب ان يتعلق الامر بحيثية اجتماعية يمكن ملاحظتها خارج الوعي الفردي. لا يجب ان يتضمن التحديد اي فرض مسبق نستنتج منه الى هذا الحد او ذلك نتائج الدراسة، مثلا بدراسته للتربية اتفق دور كيم على هذا التعريف الموضوعي التربوية هي: "الفعل الذي تمارسه الاجيال البالغة على الاجيال التي لم تصبح ناضجة بعد من اجل الحياة الاجتماعية هدفها تحريض وتطوير عدد معين من الحالات البدائية والفكرية والاخلاقية عند الطفل، التي يطلبها منه المجتمع السياسي بمجمله والوسط الاجتماعي الموجه اليه بشكل خاص".

- اختيار قرينه موضوعيه او أكثر:

وهكذا في كتابه الاول عن تقسيم العمل الاجتماعي درس دوركايم الاشكال المختلفة للتضامن الاجتماعي من خلال القانون، كذلك بحث عن اسباب الانتحار بمعالجه نسبه الانتحار، يجب توجيه الاهتمام الاكبر الى هذه القرائن التي يستند اليها التحليل.

- تمييز الطبيعي عن المرضي:

هناك حالات عارضه ومؤقته تشوه انتظاميه تشوه انتظاميه الوقائع يجب التمكن من تمييز الحالات الطبيعية، والتي عليها وحدها يجب تأسيس الخلاصات النظرية، يمكن مقارنة هذه الفكرة عن طريقة النمط المثالي لماكس فيبر، فالواقعي دوما اصيل ظاهريا في تعقيده، لكن يمكن البحث عن البنية فيما وراء الفردة.

- تفسير الاجتماعي بالاجتماعي:

لا يفسر الاجتماعي من خلال الايرادات الفردية الواعية، بل من خلال حيثيات اجتماعية اخرى سابقة، كل حيثية مشتركة لها دلالات ضمن منظومة تفاعلية وضمن تاريخ، وهذا هو المنهج الوظيفي.

- الاستخدام الانتظامي للمنهج المقارن:

هذا هو شرط كل ما اتينا على ذكره، وحدها طريقة المقارنة في المكان والزمان يمكن ان تسمح بالوصول الى دلالة اجتماعية.

2- الواقع الاجتماعي:

أبرز دوركايم مفهوم "الحقائق الاجتماعية" التي تعتبر من أساسيات منهجه العلمي. وفقا له، يجب دراسة الظواهر الاجتماعية كحقائق مستقلة تمتلك وجودا خاصا بها، بعيدا عن التفسيرات الفردية. هذه الحقائق تشمل القوانين والأعراف والتقاليد التي تؤثر على سلوك الأفراد

3- التضامن الاجتماعي:

قدم دوركايم مفهومين رئيسيين للتضامن الاجتماعي: التضامن الميكانيكي والتضامن العضوي. التضامن الميكانيكي يظهر في المجتمعات التقليدية حيث يكون الأفراد متشابهين ومتراطين بقوة العادات والتقاليد المشتركة أي الضمير الجمعي. أما التضامن العضوي فيظهر في المجتمعات الحديثة، حيث يعتمد الأفراد على بعضهم البعض نتيجة لتخصصاتهم المتنوعة والقوانين.

4- الأنومي (اللامعيارية):

استخدم دوركايم مصطلح "الأنومي" لوصف حالة من الافتقار إلى القواعد أو المعايير في المجتمع، مما يمكن أن يؤدي إلى الفوضى الاجتماعية. ربط دوركايم هذه الحالة بزيادة معدلات الانتحار، حيث اعتبر أن الأفراد في مجتمع يفتقر إلى التوجيه والمعايير الصارمة يكونون أكثر عرضة للانتحار.

5- دراسة الانتحار:

في كتابه "الانتحار" (1897)، قدم دوركايم واحدة من أولى الدراسات السوسولوجية التي استخدمت البيانات الإحصائية لتحليل الظواهر الاجتماعية، واعتباره أن الانتحار كشيء بمعنى واقعة يمكن رصدها موضوعيا، أوضح أن معدلات الانتحار تتأثر بالعوامل الاجتماعية مثل الدين والحالة الاقتصادية والروابط الأسرية، مما يعكس تأثير المجتمع على سلوك الأفراد، حيث استنتج أن للانتحار أنواع منها الانتحار الأناني والانتحار الايثاري والانتحار الأنومي.

6- الدين:

في كتابه "الأشكال الأولية للحياة الدينية" (1912)، درس دوركايم الأديان البدائية وسعى لفهم الأدوار الاجتماعية للدين. اعتبر أن الدين يلعب دورا حاسما في تعزيز التلاحم الاجتماعي وتوفير الأطر اللازمة لضبط سلوك الأفراد.

كان لإميل دوركايم دور بارز في تأسيس علم الاجتماع مستقل ذي منهجية واضحة. أثرت أفكاره على العديد من المجالات الأكاديمية والبحثية وما زالت تدرس حتى اليوم.

<https://www.boukultra.com/2023/10/blog-post.html>

ثالثا- هربرت سبنسر H.Spencer:

يعتبر هربرت سبنسر (1820-1903) أحد رواد الفكر الاجتماعي الذي تناول نظرية خاصة في تنمية وتطور المجتمع هي المماثلة البيولوجية. ولقد أراد سبنسر في كتابه الاستاتيكا الاجتماعية أن يوضح أن التقدم سواء في مجال الكائنات العضوية أو المجتمع إنما هو تطور من ظروف تؤدي فيها الأجزاء المتشابهة وظائف متشابهة إلى ظروف تؤدي فيها الأعضاء

أو الأجزاء غير المتشابهة وظائف غير متشابهة أي من الشكل الموحد إلى الأشكال المتعددة أو من التجانس إلى اللاتجانس.

حيث يعد المبدأ التطوري الأساس الحقيقي لمذهب سبنسر فقد صاغ في كتابة المبادئ الأولى ثلاثة قوانين أساسية أولها قانون استمرار القوة الذي يشير إلى وجود واستمرار نوع من العلة النهائية تفارق المعرف، وثاني هذه القوانين قانون عدم قابلية المادة للفناء، والثالث هو قانون استمرار الحركة ويعنى أن الطاقة تتحول من شكل إلى آخر لكنها تستمر في هذه العملية، ويرى أن هذه القوانين وما أضافه إليها فيما بعد يمكن أن تتمثل في قانون التطور الذي كان عنده بمثابة القانون السامي لكل موجود، ويشرح سبنسر أراءه مستشهدا بالحياة الاجتماعية بأنها تشبه الحياة البيولوجية فالتطور الاجتماعي يقوم على فكرتين هما :

1. التباين: ويقصد به الانتقال من المتجانس إلى اللامتجانس ، وقد قرر في هذا الصدد أن في الحياة ميلا إلى التفرد والتخصص .

2. التكامل: وهذه الظاهرة تسير جنبا إلى جنب مع ظاهرة التباين بمعنى أن التفرد أو التخصص لا يؤدي إلى الاستقلال والاكتفاء الذاتي، ولكنه يؤدي إلى التضامن والتماسك واعتماد الأجزاء والوظائف بعضها على البعض الآخر.

فالمجتمع في نظر سبنسر جزء من النظام الطبيعي للكون، وعلم الاجتماع هو محاولة لمعرفة نشأة المجتمع وتركيبية وعناصره وهيئاته ومراحل نموه وتطوره وما إلى ذلك من المظاهر التي تخلفها العوامل الطبيعية والنفسية والحيوية، فالتطور الاجتماعي في نظره ليس إلا عملية تطورية عضوية يسميها التطور فوق العضوي فالاجتماع الإنساني إذن هو أرقى صورة للتطور فوق العضوي.

إذا كان المبدأ التطوري هو أساس نظرية سبنسر في علم الاجتماع لكنه مع ذلك قدم مبدأ ثانويا آخر لعب دروا رئيسيا في نسقه الفكري، ذلك هو المماثلة العضوية البيولوجية، فقد لاحظ عديدا من أوجه التشابه بين الكائنات الاجتماعية و الكائنات العضوية على النحو سبنسر التالي :

1. يتميز كل من المجتمع والكائنات العضوية عن المادة غير العضوية بالنمو الواضح خلال الشطر الأكبر من وجودهما مثال الرضيع يمتد حتى يصبح رجلا والمجتمع الصغير يصبح منطقة مترو بوليتارية والدولة الصغيرة تصبح امبراطورية .

2. تنمو كل من المجتمعات والكائنات العضوية وتتطور في الحجم ، كما أنها تنمو في درجة تعقدها البنائي .ويقصد بذلك أن الكائنات البدائية بسيطة والكائنات العليا معقدة وكذا المجتمعات .

3. يؤدي التطور سواء في المجتمعات أو الكائنات العضوية إلى تباينات في البناء والوظيفة ، وكل منهما يجعل الآخر ممكنا .

4. يصاحب التفاضل أو التمايز التقدمي في البناء سواء في المجتمعات أو الكائنات العضوية تمايز تقدمي في الوظائف. وهذه قضية من قبيل اللغو. فكل عضو يؤدي وظيفة محددة لمركب الكائن العضوي، كما أن التنظيمات المختلفة تؤدي وظائف مختلفة في المجتمع الذي ينقسم إلى مثل هذه التنظيمات .

ولقد أدرك سبنسر أن هناك فروقا هامة بين المجتمعات والكائنات الحية يتمثل الفرق الأول في أن أعضاء الكائن الحي تكون كلا ملموسا ، أما أجزاء المجتمع فحرة دعائم ومشتتة بدرجات متفاوتة . أما الفرق الثاني يتمثل في أن الوعي أو الشعور يتركز في جزء صغير من كل الكائن الحي بينما هو ينتشر في الأعضاء والأفراد في المجتمع. أما الفرق الثالث في أن أعضاء الكائن الحي إنما توجد لتحقيق الفائدة لكل بينما يوجد المجتمع لمجرد تحقيق الفائدة لأعضاءه الفرديين ، ويرى سبنسر أن المجتمع ليس كائنا عضويا طالما أن هناك فروقا جوهرية بينه وبين الكائن العضوي . وأكد أن المماثلة البيولوجية ماهي إلا معبرا أو صقالة لإقامة إطار متماسك من الاستقرار السوسولوجي. ويقول إذا ما نزعنا هذا المعبر قامت الاستقرار بذاتها .

كما ينطوي عمل سبنسر على خطين من التبرير حول تقدم وتطور المجتمع أو التطور الاجتماعي ويرتبط واحد منهما منطقا بمفهومه الأساس عن التطور ارتباطا أكثر فاعلية من الآخر.

1. الخط الأول: يطور من التبرير موضوعا مؤداه أن الحقيقة الرئيسية للتطور تتمثل في الحركة من المجتمعات البسيطة إلى المستويات المختلفة من المجتمعات المركبة. فالمجتمع المركب انبثق عن المجتمع البسيط. ومركب المركب عن المركب. ويتكون المجتمع البسيط من الأسرة، أما المركب يتكون من أسر تتحد في العشائر، ويتكون مركب المركب كمجتمعاتنا من قبائل تتحد في أمم أو دول.

2. الخط الثاني: فهو ينطوي على اتجاه مؤداه أن نماذج من التطور مختلفة إلى حد ما تجرى. وعلى وجه التخصيص يحدث تحولا من المجتمع العسكري إلى المجتمع الصناعي ويتميز كل من النموذجين عن الآخر. فالتعاون الإجباري يشيع في المجتمع العسكري بينما يسود التعاون الاختياري في المجتمع الصناعي.

وأوضح سبنسر أنه ليست هناك ضرورة ملحة لتحول المجتمعات خلال مراحل التطور المحددة. كما أن كل مجتمع لا يشبه الآخر تماما فهناك فروقا بين المجتمعات ترجع إلى الاضطرابات التي تتدخل في خط التطور المستقيم. - <https://ejtema3e.com/the-pioneers-of-social-thought/10-2013-07-27-21-43-54.html>

رابعاً- جون ستيوارت ميل:

تجدون في هذا الموقع مقال يحتوي على مختلف نظريات جون ستيوارت ميل اطلع عليه :

<https://fr.scribd.com/document/552270910/%D8%AC%D9%88%D9-%D8%B3%D8%AA%D9%8A%D9%88%D8%A7%D8%B1%D8%AA-%D9%85%D9%8A%D9%84>

خامساً: فلريد باريتو:

ولد باريس عام 1848 في باريس، درس الهندسة المدنية في إيطاليا ولكن تحول إهتمامه للاقتصاد والسياسة والمجتمع وخاصة سلوك الإنساني، وضع كتاباً عاماً في علم الاجتماع، كان له أثر بعيد في تشكيل وتطور علم الاجتماع الغربي قد تضمن هذا المؤلف أهم أفكاره في علم الاجتماع وخاصة في تصوراته لعلم الاجتماع والمنهج ومفهوم النسق الاجتماعي والسلوك الإنساني وأسس النفسية البيولوجية وخصائصه العقلانية ولا العقلانية ثم النخب ودورها التاريخي وما بينها من علاقات فيما اسماء بدور النخب، وأهم القضايا التي اهتم بها هي:

1- النسق الاجتماعي عند باريتو:

لقد تصور باريتو المجتمع كنسق يعبر عن وحده تتألف من اجزاء مترابطة ومتساندة يترتب على ما بينها من علاقات متكاملة حاله من الانتظام والتوازن لا تقتصر دراسة النسق وتحليل العلاقات بين اجزائه وخاص العلاقات السببية على العوامل الداخلية وعلاقتها وانما لابد من دراسة النسق ايضا في علاقته مع بيئته الطبيعية فلا يمكن عزل المجتمع الإنساني وتغييره عن تلك البيئة الخارجية.

ينظر باريتو الى النسق الاجتماعي كحاله دينامية ينتقل فيها المجتمع من حاله توازن وانتظام الى حاله جديده من التوازن فالمجتمعات الانسانية في نظره نتاج تاريخي الى وانتظام الى حاله جديده من التوازن فالمجتمعات الانسانية في نظره نتاج تاريخي تعبر كل مرحله زمنية فيه عن نسق منتظم في حاله توازن تنتج عن العلاقات الداخلية في وعلاقته بالخارج فالمجتمع ككل مزود بحركة تعمل على تعديله بشكل بطيء وتفسيره ضمن العلاقات السببية والعوامل النفسية البيولوجية وما يترتب عليها من افعال هي اساس تشكل التنظيمات الاجتماعية والتي تدخل بعد تشكلها في علاقه تبادليه مع المستوى الفردي وكما ان الافراد وما يملكون من خصائص نفسيه هم اساس ما هو اجتماعي ثقافي فانهم ايضا اساس التغيرات في النسق. بهذا يمكن القول ان باريتو قد اكد في تناوله للنسق الاجتماعي على افتراضات أهمها:

- ان المجتمع الانساني يعبر عن وحده اجتماعيه منتظمة يغلب عليها حاله الاستقرار والتوازن ويمكن ان يتغير تدريجيا من حاله توازن الى اخرى جديده.
- ان كل نسق يتكون من اجزاء مترابطة متسانده ومنتظمة بينها علاقات تبادليه، كما يرتبط النسق بعلاقات بالبيئة الطبيعية المحيطة به.
- ان علم الاجتماع يدرس الانتظامات ويتجاوز الاحداث الفردية.
- ان المجتمع حقيقه موضوعيه تمكنا من بناء مقاييس كميه تربط حقيقه الواقع بالمعرفة.
- ان العوامل النفسية المتجذرة في التركيب الحيوي البيولوجي هي الاله في تفسير الواقع الاجتماعي وتغييره.
- ان الفعل الانساني يرتبط في غالبه بالتركيب النفسي والحيوي للفاعل.

2- العواطف والرواسب والمشتقات:

ترتبط الافعال والسلوك عامه بالعواطف والمشاعر، وتعني لدى باريتو نوع من الغرائز الفطرية ذات طبيعة ثابتة، لا يمكن ملاحظتها مباشرة وانما يمكن ان يستدل اليها من الأفعال. يرتبط مفهوم العواطف ما اطلق عليه الرواسب، وتعني ما يختزل في العقل كاثار لخبرة، تصبح من المؤثرات في السلوك، ويعرفها باريتو العنصر ا يقابل غريزة ما في الانسان او الناس ليس له وجود واقعي، ويختلف في وجوده عن انسان الى اخر يقابل غرائز الثابتة، وبهذا فان بإمكاننا فقط اكتشاف الغرائز التي ينتج عنها التسويق العقلاني، يبقى بعد هذه الشهوات والاذواق والميول وفي الجانب الاجتماعي ما يطلق عليه المصلحة الذاتية.

الرواسب اذن ثوابت غير عقلانية، ويعتبر ما ينتج عنها من تبريرات على شكل مشتقات متغيرات، فالرواسب تعبيرات عن العواطف والمشاعر، وبهذا يمكن القول ان الرواسب تمثل ميلا نفسيا ثابتا مرتبطة بالعواطف والغرائز وتتوسط العلاقة بين العواطف والفعل.

تعتبر الرواسب من حيث توزيعها بين الافراد المجتمع من العوامل التي تعزز حاله التكامل والتوازن في النسق الاجتماعي، فكل انسان يولد بقدرات وميول تتفق مع متطلبات الدوار في البناء الاجتماعي، ويترتب على توزيع الرواسب بين افراد المجتمع تغطيه الادوار المختلفة بشكل تكاملي، حيث يصنف باريتو الرواسب الى راسب الربط والتوليف، راسب المحافظة على التجمعات، راسب الحاجة عن التعبير عن المشاعر بأفعال، راسب النزعة للاجتماع، راسب التكامل الذاتي والشخصي، راسب الجنس.

يستدل على هذه الرواسب من خلال الأفعال، اذ تتوسط الرواسب علاقة الافعال بالعواطف والغرائز الثابتة، وبهذا فهي ثابتة أيضا، ومن الالوجه الهامه في طروحات باريتو ما جاء في تحديده لعلاقة الرواسب بالمشتقات، وقد عني بالمشتقات محاولة الانسان التظاهر بتفسير الافعال الناجمة عن الرواسب، حيث يرى فريق ان هذه المحاولات لا تفسر الفعل وانما تحاول

تبريره بعد حدوثه، وتشمل وسائل التبرير هذه اللجوء الى تأكيدات بسيطة تتضمن تعبيرات حقيقية او متخيلة، وبهذا تمثل المشتقات تفسيرات بعيدة لا عقلانية تبريرية، لا ترتبط منطقيا بالوقائع، وهي في مجملها تعبر عن معظم محاولات الانسان تفسيره افعاله.

نستنتج مما سبق ان باريتو يربط السلوك الانسان بالرواسب التي ترتبط بالعواطف، ثم ارتباط المشتقات كأشكال من الافعال التبريرية بالرواسب أيضا، وبهذا يستدل منهجيا الى الرواسب عن طريق الافعال والمشتقات. ليتضح ان باريتو يرى ان معظم السلوك الانساني يتصف بلا عقلانية، لارتباطه اساسا بالعواطف والمشاعر ومنها محاوله حماية الذات، كما يتجلى هذا في المشتقات.

2- دورة النخبة الحاكمة:

مفهوم النخبة عند باريتو يذهب إلى أولئك الذين يتفوقون في مجالات عملهم المختلفة، حيث يذهب إلى أنه بالإمكان تحديد درجات الأفراد ابتداء من الصفر إلى عشر درجات، وهؤلاء الذين يحصلون على أعلى الدرجات هم نخبة المجتمع، ومن خلال هذا التحليل للصفوة أو النخبة الذي يتسم بالشمول، فقد أعطى للصفوة مفهوما يقترب من مفهوم النخبة الحاكمة على غرار كارل ماركس، لأن نظرية الصفوة عنده تعد جزءا أساسيا من علم اجتماع جديد، حاول إقامته واستند في ذلك إلى أبعاد سياسية نفسية بحتة.

يرى باريتو مبدئيا أن تكوين النخبة يرتد في المقام الأول إلى ما يكتنف المجتمع الكلي من مفارقات طبيعية في مكوناته المادية والبشرية على السواء، فأفراد المجتمع مختلفون بطبيعتهم من حيث قواهم أو من حيث ملكاتهم العقلية وتكوينهم النفسي وقدراتهم الأخلاقية، ويعود ذلك إلى ما يحملونه من رواسب من شأنها تحديد أنماط سلوكهم، ومن مشتقات أخرى يعتمدون عليها في تفسير تصرفاتهم.

ومنه فالنخبة بالنسبة إلى باريتو جماعة صغيرة ومميّزة في المجتمع تصعد درجات سلم السلطة والحكم، لاتصافها بصفات محدّدة، هي التي تؤهلها لاحتلال هذه المكانة، ولكنها مدعّوة إلى الزوال بفعل آثار التغيير الاجتماعي المستمر، إذ تظهر نخبة جديدة تتحدّاه بفضل اكتسابها صفات مميّزة ومحدّدة تتماشى مع متطلّبات الأوضاع الجديدة فتزيحها وتحلّ مكانها، فحسب تحليلات باريتو فإنّ هناك:

- النخبة الواعية التي يجب أن تفقد المجتمع؛ وفئة دنيا يجب أن تخضع للفئة الأولى.
- توجد حركة مستمرة من طبقة النخبة إلى الطبقة الدنيا، ومن الثانية إلى الأولى، وتتوقّف شدة هذه الحركة على ظروف المجتمع والأفراد لا سيّما الرواسب الاجتماعية؛
- فكرة حتمية اندلاع الثورات التي ستمكّن النخبة من الوصول إلى قيادة المجتمع وبروز زعيم قوي، يستطيع أن يقضي على الفوضى الاجتماعية والاقتصادية السائدة بسبب النزاعات المستمرة بين العمّال وأرباب العمل؛

- الحكومة مهما كان شكلها ما هي إلا طبقة معرّضة للزوال، وتفسح المجال بزوالها لطائفة أخرى من الطبقة الدنيا لتحل محلّها. لكلّ واحدة من الطبقتين وسائل مختلفة للحفاظ على بقائها في السلطة مدّة أطول، والتي تعتمد على القوة والقمع والخداع هي الجديرة بالبقاء فترة أطول.

<https://www.diwanalarabia.com/Display.aspx?args>